كتاب

الإبانة عن مذهب أهل العدل

بحجج القرآن والعقل

لكافي الكفاة الصاحب اسماعيل بن عباد

٣٢٦ - ٣٨٥ هـ

الصاحب بن عباد

أكذا المنون تقطر الأبطالا أكذا الزمان يضعضع الأجبالا ؟
أكذا تصاب الاسد وهي مدلة تحمي الشبول وتمنع الأغيالا ؟
أكذا تحط الزاهرات عن العلى من بعد ما شأت العيون منالا ؟
أكذا تغاض الزاخرات وقد طغت لججاً و أوردت الظماء زلالا ؟

هكذا يفتتح السيد الشريف الرضي مرثيته ـ أو ترجمته على الأصح ـ للصاحب ابن عباد ، انه يفتتحها بالاستغراب والتعجب والاستفهام .

ولا غرابة من هذا الافتتاح ، ولا عجب من هذا التعجب .

أليس غريباً أن تقطر المنون الأبطال ، وتصرع الأبدال ، وتجدل الصناديد ؟

أليس غريباً أن يضعضع الزمان الجبال الرواسي الشوامخ ، ويزلزل الأطواد الرواسخ ؟

أليس غريباً أن تصاب الاسد وهي متيقظة واثبة نابهة تحمي الشبول وتمنع الغيل ؟

أليس غريباً أن تنحط الزاهرات عن اوج علاها ، بعدما اجتاحت الاثير صعداً ، وشأت العيون منالا ؟

أليس غريباً أن تغيض اللجج الزاخرة الطامية ، والبحار الدافقة المتلاطمة ، وهي مدلة بطغيانها المحبب ، طغيان الخير والري والاسعاف ؟

أجل . . انه لغريب .

وهكذا كان الصاحب في حياته بطلا صنديداً ، وجبلا راسياً ، وأسداً متوثباً ، ونجماً ثاقباً متعالياً ، وعباباً طامياً دفاقاً ، فلا غرو اذا مادهش الناس بموته فراحوا ينشدون للحقيقة المبهمة ، وهم يرددون مع الشريف قوله :

يا آمر الأقدار كيف أطعتها أوما وقاك جلالك الآجالا ؟

وليست هذه المرثية الضخمة الساحرة معتمدة على مايقال : من (ان أكذب

المغفور له السيد محسن الأمين : و (الذريعة) لسماحة الشيخ اغا بزرك الطهراني ، و (الغدير) لسماحة الشيخ الاميني ، وكثيرين من أمثالهم

ومن الغريب اننا لم نظفر في كتب القدماء على ذكر لهذا الكتاب في قائمة مؤلفات الصاحب ولكنهم ذكروا له كتابا باسم (أسماء الله وصفاته) .

والمرجح لدي انه نفس الكتاب المعروض البحث ، لأن الكلام فيه - كما سترى - يدور على الاكثر في موضوع أسماء الله تعالى وصفاته : والشبهات الواردة على ذلك ، ودفعها وردها ، والاستدلال على بطلانها : واما ماجاء فيه من الاشارة الى مبحث (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) ومبحث (الامامة) فالظاهر انه مذكور عرضاً وإلا فالمقصود بالشرح والبيان هو موضوع الاسماء والصفات فقط .

ومعتقدي ان تسميته بـ (الابانة) كما جاء في كتب المتأخرين متصيدة من مقدمة الرسالة إذ يقول فيها المؤلف :

(هذا مختصر في الابانة عن مذهب أهل العدل ، بحجج القرآن والعقل ... الخ)

وعلى كل فان نسبة الكتاب الى الصاحب اسماعيل بن عباد مما لايعتريه ريب ولا تتنازعه شبهة ، خصوصاً وان اسلوبه في البحث - في هذه الرسالة - كاسلوبه في رسالته المسماة بـ (التذكرة) الثابتة النسبة من طرق رجال التاريخ القدامى .

واليك الرسالة :

الشعر أعذبه) كما انها لاتمت الى المبالغة أو الغلو بسبب أو نسب ؛ فلقد كان الصاحب ـ رضوان الله عليه ـ مجموعة فذة فى تاريخ الأدب والسياسة ؛ وعالم الفكر والقلم ؛ واليك فارجع الى كتب الأدب والتاريخ ـ ان كنت في شك من ذلك ـ لترى مقدار مكانة هذا البطل ومقامه ، ومبلغ مايستحقه من علو وسمو .

لقد جمع الصاحب بين الأدب والسياسة ، فاذا به أديب كبير لم يفته شيء منه ، وسياسي كبير لم يبق استزادة لمستزيد .

ولقد جمع بين الفكر والقلم ، فكان بتفكيره محلقاً إلى أجواء رحبة في علوم الكلام والتاريخ ، والنثر والشعر ؛ ثم كان بقلمه محلقاً أيضا إلى أبعد حدود التحليق ، وأوسع مجالات الارتفاع والرقي .

ويكفينا شاهد صدق على ذلك كله كتبه الفسذة الضخمة ؛ الضخمة فى لفظها والضخمة فى معناها ، والضخمة في اسلوبها وتفكيرها ومناقشاتها .

ومن المؤسف جداً أن لانجد للصاحب كتابا مطبوعا من مجموعة كتبه كلها سوى رسالة (الكشف عن مساوىء المتنبي) المطبوعة بمصر .

اما كتبه ورسائله الاخرى فقد بقيت مطمورة مغمورة طوال هذه الحقب المتمادية ، حتى شاءت الصدف أن أعثر ـ عند صديق لي ـ على أربع رسائل له فى مواضيع شتى ، فما كان مني إلا استنساخها لنفسي ، بعد تصحيحها على عدة نسخ ، ثم كان جل همي بعد ذلك تصديرها للطبع ، وإخراجها للحياة لتستفيد منها المكتبة العربية الناشئة .

والنسخة المنقول عنها تقع فى (١٤) صفحة من القطع المتوسط ؛ وترجع الى قبل نصف قرن ، وفى مكتبة الحجة المغفور له الشيخ هادي كاشف الغطاء نسخة مخطوطة يرجع تاريخها الى عام (١٠٥٥) وهي أقدم النسخ التي عثرنا عليها .

اما نسبة هذا الكتاب الى الصاحب رضوان الله عليه فقد أجمع عليها علماؤنا المتأخرون ، ولم يسمع منهم تشكيك في ذلك ، وتجد النسبة مثبتة فى (تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام) لسماحة المغفور له السيد حسن الصدر ، و (أعيان الشيعة) لسماحة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الواحد القديم ، العدل الكريم ، الرؤوف الرحيم الغفار ، وصلى الله على نبيه المختار ، وأهل بيته الأبرار .

هذا مختصر في الابانة عن مذهب أهل العدل ، بحجج القرآن والعقل ، والله نستهدي ونستكفي ، واليه نفزع ونلتجي .

زعمت (الدهرية) : ان الأجسام التي نشاهدها قديمة [1] ، وقالت (الموحدة) : هي محدثة لأن الامارات التي فيها من التحول والتنقل والتبدل والاجتماع والافتراق امارات الحدوث لا القدم ؛ ألا ترى ان اجتماعها يحدث فيبطل افتراقها ، فاذا كانت لاتنفك من الحوادث فهي محدثة لأنها لم تتقدمها في الوجود ، وقد علمنا أن النطفة لو وضعت بين يدي العالم لما قدروا أن يخلقوا منها ذبابة كما قال الله تعالى : ﴿ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ﴾[2] ووجدناها خلق منها بشر سوي فعلمنا انه حادث أحدثه قادر لايشبهه القادرون ، ولا يعجز عن سائر الفاعلين وكذلك غيره ، قال الله تعالى : ﴿ أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ﴾[3]

وزعمت (المعطلة) أن لاصانع للعالم ، وقالت (الموحدة) : له صانع وهو الله

---

(١) وقد أفاض فى سرد شبهاتهم وردها العلامة السكراجكي فى كنز الفوائد وذكر هناك مجموعة من الأدلة والبراهين على بطلان دعاواهم ومزاعمهم راجع ص ٢ وما بعدها

(٢) الحج : ٧٢ . (٣) يس : ٧٧ .

سبحانه وتعالى ، واستدلت : بأن الفعل لا بد له فاعل ، والكتاب لا بد له من كاتب ، ألا ترى ان مدعياً لو ادعى في دار انها قديمة لاباني لها لكان عند العقلاء مجهلا ، فكيف تسوغ هذه الدعوى في السماوات والأرضين ، مع حسن تركيبها ، وانتظام تصويرها ، وهذا الذي أراد بقوله تعالى : ﴿ ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الألباب ﴾[1] .

وزعمت (المجوس الثنوية) ان للعالم صانعين ، وقالت (الموحدة) : بل له صانع واحد ، لأن الاثنين يتغالبان ، ولا يجري تدبيرهما على نظام ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾[2] .

وقالت (النصارى) : ان الله تعالى والمسيح «ع» ومريم «ع» ثلاثة قدماء ، وهي في الحقيقة واحد ، وقالت (الموحدة) : بل الله فرد لم يلد ولم يولد ، ولو ساغت هذه الدعوى في المسيح لساغت في موسى وابراهيم عليهما السلام وغيرهما ، واستدلت على حدوث المسيح وامه بتصرفهما على هيئة البشر وحاجتهما الى المطعم والمشرب ، وقد نبه تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صدّيقة كانا يأكلان الطعام ﴾[3] .

وأنكرت (المتفلسفة) أن يكون الله تعالى قادراً[4] وقالت (الموحدة) : هو قادر ، إذ القادر من يصح منه الفعل ، وقد شاهدنا أفعاله كتصريف الليل والنهار والاماتة والاحياء ، وقد قال تعالى : ﴿ له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ﴾[5] .

وأنكرت (المتفلسفة) أن يكون عالماً ، وقالت (الموحدة) : انه عالم ، لأن العالم

---

(١) آل عمران : ١٨٧ . (٢) الأنبياء : ٢٢ . (٣) المائدة : ٧٩ . (٤) ومن أراد الاطلاع على مزاعمهم الباطلة بتفصيل والوقوف على ردود تلك المزاعم فليراجع كنز الفوائد ففيه الغنى والكفاية . (٥) الحديد : ٢ .

من لاتتعذر عليه الأفعال المحكمة المتقنة ، ألا ترى أنا اذا لم نكن عالمين بالكتابة تعذر علينا أن نكتب كتاباً منتظماً متسقاً ، فلما كانت أفعاله تعالى في نهاية الاتقان ، وغاية الانتظام ، دلت على انه عالم ، وقد قال تعالى : ﴿ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾[1] .

وأنكرت هذه الطائفة أن يكون حياً ، وقالت (الموحدة) : هو حي ، لأن من ليس بحي لا يصح أن يكون قادراً عالماً ، وهو قول الله تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ـ الى قوله ـ وهو العلي العظيم ﴾[2] .

وأنكرت أن يكون سميعاً بصيراً ، وقالت (الموحدة) : هو سميع بصير ، لأن كل حي لا آفة به هو السميع البصير ، ونفت (الموحدة) مع هذا مشابهة البشر عنه في جميع الصفات ، وقالت : هو عالم لذاته ، سميع بصير لذاته ، لا كما قالت (المشبهة) : انه محتاج الى علم يعلم به ، وقدرة بها يقدر ، ولولاهما لكان جاهلا عاجزاً ، وانه يرى بعين ويسمع باذن ، وقد نبه الله تعالى على نفي التشبيه عنه وصفه نفسه بأنه سميع بصير ، فقال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[3] .

وزعمت (المشبهة)[4] أن لله يدين على معنى الجارحة ، وأثبتت له وجهاً على معنى العضو ، وقالت (الموحدة) : هذا فاسد ، لأن الله تعالى خالق الجواهر ، ومنزه عن مشابهة الخلائق ، ومعنى قوله تعالى : ﴿ خلقت بيدي ﴾ أي خلقته ، وذكر اليد مجاز ، كما قال تعالى : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ﴾[5] ومعلوم ان المطر

(١) سبأ : ٣ . (٢) البقرة : ٢٥٦ . (٣) الشورى : ٩ . (٤) المشبهة ـ كما يقول ابن طاهر البغدادي ـ صنفان : صنف شبهوا ذات الباري بذات غيره ، وصنف شبهوا صفاته بصفات غيره ، وكل صنف من هذين الصنفين يفترق الى أصناف شتى ، وقد وصف داود الجواري معبوده بجميع أعضاء الانسان إلا الفرج واللحية ، لاحظ مختصر الفرق بين الفرق ص ١٣٨ . (٥) الاعراف : ٥٥ .

لا يد له ، وكذلك التبين ، ألا ترى الى قول الشاعر في وصف الشمس :

«القت ذكاء يمينها في كافر»

وكذلك القبض ، ألا ترى ان العرب تقول : فلان قبض فلاناً ، وهو لا يريد بذلك انه قبض عليه بجارحته بل بقوته ، واما الوجه فان العرب تذكره وتريد الشيء نفسه كقولهم : هذا وجه الحق ووجه الرأي ، وهذا معنى قوله : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾[1] معناه : إلا هو .

فان سألت (المشبهة) فقالت : أين هو ؟ قلنا : (أين) سؤال عن مكان ، وكان الله تعالى ولا مكان ، فلما خلق المكان ولم يتغير عما كان علم انه لا مكان له .

فان قال : أليس على العرش استوى ، قيل له : معناه استولى ، كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق [2]

فان قيل : هو مستول على كل شيء فكيف خص العرش ، قيل له : كما هو رب كل شيء ، وقال : ﴿ وهو رب العرش العظيم ﴾[3] .

فان قيل : فكيف هو ؟ قيل : ليس بذي كيف ، لأن (كيف) يراد به كأي شيء هو ، والله تعالى لا مثل له ، ولو كان له مثل لكان محدثاً ، ولو كان محدثاً لاحتاج واتصل هو الى ما لا نهاية له ، وهو قال : ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾[4] .

فان قيل : فما هو ؟ قلنا في جوابه ما أجاب به موسى «ع» لفرعون إذ قال له : ﴿ ما رب العالمين ﴾ ﴿ قال رب السموات والأرض ـ الآية ـ ﴾ ﴿ قال لمن حوله ألا تستمعون ـ الى قوله ـ وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾[5] .

---

(١) القصص : ٨٨ ، وللوجه معان عدة وردت في أشعار العرب ، راجع أمالي المرتضى ج ٣ ص ٤٦ وما بعدها . (٢) ذكر هذا البيت جمع من المفسرين كالطبرسي في مجمع البيان ج ١ ص ٧١ والبيضاوي في تفسيره ص ١٦ ولم يذكروا قائله . (٣) آخر سورة التوبة . (٤) الاخلاص : ٣ ، ٤ . (٥) الشعراء : ٢٢ ـ ٢٧ .

وزعمت (المشبهة) : ان الله يصعد وينزل ، ويجيء ويذهب ، ويبدو ويستتر ، ويظهر ويحتجب ؛ وقالت (الموحدة) : انه لايحول ولا يزول ؛ لأن مايحول ويزول ، ويحتجب وينتقل لايكون أزلياً ولاقديماً ، فهذه علامات الحدوث ، وهذا معنى قول الله تعالى فيما يحكى عن ابراهيم «ع» : ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هـذا ربي ـ الى قوله ـ اني بريء مما تشركون ﴾[١] .

فان سألت (المشبهة) : أفتقولون انه بكل مكان ؟ قلنا : ان أردتم ان ذاته بكل مكان فخطأ ؛ لأنه تعالى لايصح عليه حلول الأمكنة ؛ وان أردتم انه عالم بكل مكان فكذا نقول ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ـ الى قوله ـ ثم ينبئهم بما عملوا ﴾[٢] .

وزعمت (المشبهة) : ان الله تعالى يُدرك بالأبصار ، وقالت (الموحدة) : ان الله لا يُدرك بالابصار ، إذ لو كان مرئياً لكنا نراه ونحن أصحاب البصر ، إذ ليس ببعيد فيقرب ، ولا بجسم فيحتجب ، ولا بعرض فيستكن ، ولا بصغير فيكبر ، ولا برقيق فيكثف ، ولو جاز أن يرى لجاز أن يلمس ، وقد قال تعالى : ﴿ لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ﴾[٣] وكلما نفاه عن نفسه وأثبتناه ذم له ، ألا ترى انه قال : ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ ان الله لايظلم الناس شيئاً ﴾[٥] وقال تعالى : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾[٦] وقال تعالى : ﴿ ماتخذ صاحبة ولا ولدا ﴾[٧] فلو جاز أن يدرك بالابصار في دار دون دار ، لجاز أن تأخذه سنة في دار دون دار .

فان قيل : فالادراك الاحاطة ، قيل : هذا فاسد في اللسان ، لأن العرب لاتفرق بين قول الرجل : أدركته ببصري ورأيته ببصري ؛ ولو كان الادراك الاحاطة لقيل في الحائط انه مدرك لأنه بالدار محيط .

---

(١) الأنعام : ٧٦ ـ ٧٨ . (٢) المجادلة : ٨ . (٣) الانعام ١٠٣ . (٤) البقرة ٢٥٦ . (٥) يونس : ٤٥ . (٦) الاخلاص : ٤ . (٧) الجن : ٣ .

فان احتجوا بقوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾[1] قيل : ليس لكم في ظاهرها حجة ، لأن الوجه لايرى به .

وبعد : فقوله تعالى : ﴿ لاتدركه الابصار ﴾[2] عامّ في الدنيا والآخرة ، ولو كانت هذه الآية دالة على الرؤية لتناقض القرآن وحاشاه من ذلك ، وتأويلها مافسرها علي «ع» وابن عباس رضي الله عنه وغيره من المفسرين ان معناها ناظرة الى ثواب ربها [3] كما يقول الناظر : إنما أنظر الى الله واليك ، وكما قال الشاعر :

اني اليك لما وعدت لناظر نظر الفقير الى الغني الموسر [4]

وقد دلنا اليه قوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ لن تراني ولكن انظر الى الجبل ﴾[5] وإنما سأله موسى عليه السلام ذلك عن قومه ، ألا تسمعه تعالى يقول : ﴿ وإذ قلتم

---

(١) القيامة : ٢٢ ـ ٢٣ . (٢) الأنعام : ١٠٣ . (٣) يقول السيد الشريف المرتضى تعليقاً على تفسير هذه الآية مانصه : وههنا وجه ... سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب أم الرؤية بالعين ، وهو أن يحمل قوله تعالى : « الى ربها » الى انه أراد نعمة ربها ، لأن الآلاء النعم ، وفي واحدها أربع لغات « ألاً » مثل « قفاً » و « ألى » مثل « رمى » و « إلى » مثل « معي » و « إلى » مثل « حتى » ، قال أعشى بكر بن وائل :

أبيض لايرهب الهزال ولا يقطع رحماً ولا يخون إلى

أراد انه لايخون نعمة ، وأراد تعالى « الى ربها » فأسقط التنوين للاضافة (فان قيل) فأي فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على انه أراد به الى ثواب ربها ناظرة بمعنى رائية لنعمه وثوابه (قلنا) ذلك الوجه يفتقر الى محذوف ، لأنه اذا جعل « الى » حرفا ، ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف ، وفي الجواب الذي ذكرناه لايفتقر الى تقدير محذوف لأن « الى » فيه اسم يتعلق به الرؤية ، ولا يحتاج الى تقدير غيره . الامالي ج ١ ص ٢٨ . (٤) ذكر هذا البيت الطبرسي في مجمع البيان ولم يسمّ قائله . (٥) الاعراف : ١٣٩ .

ياموسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة ـ الى قوله ـ وأنتم تنظرون ﴾[١] قال عزوجل ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ـ الى قوله ـ بما فعل السفهاء منا ﴾[٢] يعني سؤالهم الرؤية ، والحديث المروي : « انكم ترون ربكم كما ترون القمر » خبر واحد ، وقد أجمع العلماء على انه لايوجب العلم ، هذا وفي اسناده ضعف ، ولو صح لكان تأويله سايغاً ، ومعنى « ترون ربكم » أي تعلمون الله في الدنيا استدلالا ، وهو يعلم في الآخرة ضرورة ، كما نحن مضطرون الى العلم بكون القمر ، والرؤية بمعنى العلم كثير في القرآن واللغة ، قال الله تعالى لنبيه : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ﴾[٣] والنبي « ص » لم ير عاداً وما فعل به وإنما علمه ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾[٤] .

وزعمت (المشبهة) : ان القرآن لما كان كلام الله فهو قديم مع الله غير مخلوق ، كما قالت (النصارى) : ان المسيح عليه السلام لما كان كلمة الله كان قديماً غير مخلوق ، وقالت (الوحدة) : هو في الحقيقة كلامه فأحدثه إذ لو كان قديماً لكان يقول : لم يزل ياموسى اني أنا ربك فأخلع نعليك ، وقالت اليهود عزير ابن الله لكان هذا عبثاً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه ﴾[٥] والذكر هو القرآن ، وقال تعالى : ﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾[٦] ولو كان قديماً لم يكن عربياً ولا مفصلا ولا منزلا ، ولم يكن حروفا متفرقة وأشياء متغايرة ، فالله يصلي له ، والقرآن يصلى به ، وما يصلي به غير مايصلي له ، وكل موجود غير الله محدث ، وأيضاً انه أخبر بأنه أمر منه بقوله تعالى : ﴿ ذلك أمر الله أنزله اليكم ﴾[٧] ثم قال تعالى : ﴿ وكان أمر الله مفعولا ﴾[٨] والله لم يزل قادراً على الكلام ، إذ من لايقدر على الكلام من الاحياء أخرس ، والمقدور عليه اذا وجد لا يكون إلا محدثاً ،

(١) البقرة : ٥٢ . (٢) الاعراف : ١٥٤ . (٣) الفجر : ٥ . (٤) الفيل : ١ .
(٥) الانبياء : ٢ . (٦) الحجر : ٩ . (٧) الطلاق : ٥ . (٨) النساء : ٥٠ .

وقد دل على قدرته عليه بقوله تعالى : ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ﴾[١] وبقوله تعالى : ﴿ ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾[٢] .

وأنكرت (البراهمة) إرسال الرسل[٣] وقالت (الموحدة) : ان إرسال الرسل حسن في العقول ، فوجب في حكمة الرب الرحيم إرسالهم ، إذ لولا الرسل لما فرق بين الحشائش القاتلة وبين الحشائش النافعة ، ومتى كانت تأتي التجربة على مقادير الادوية على اختلافها . وتباعد أمكنتها ، وتباين أوزانها . وسائر ذلك من مصالحهم التي لا يعلمها إلا من علم الأشياء قبل كونها ، ولولا إرسال الرسل لما عرف الناس لغات يخاطبون بها ، وليس على ادعاء الاصطلاح فيها دليل ، إذ الاصطلاح على لغة لا يكون إلا بلغة ، فلو قصد قوم أن يضعوا اللغة لأبلغ لمن تقدمها لما أمكنهم ذلك ، والتجربة تكشف ماقلناه ، وقد قال الله تعالى ﴿ ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ﴾[٤] .

وأنكرت (اليهود) و(النصارى) نبوة نبينا «ع» ولو شاع لهم من معجزاته التي نقلها الامم الكثيرة التي لا يجوز عليهم التواطي على ذكرها ، وكان لهم مع ذلك أن يجحدوا نبوته ، للزمهم ذلك في موسى وعيسى عليهما السلام ، هذا وقد بشروا به وان كتمه علماؤهم حسداً ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ﴾[٥] .

فان قالوا : ماهو معجزاته ؟ قلنا : أشياء أوضحها القرآن ، فانه تحدى به العرب أفصح ما كانوا فعجزوا عنه مع اجتهادهم في إطفاء نوره ، هذا وهو يقرعهم مرة بعد مرة بقوله تعالى : ﴿ فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾[٦] وقوله تعالى ﴿ فأتوا بسورة مثله ﴾[٧] .

---

(١) الاسراء : ٨٨ . (٢) البقرة : ١٠٠ . (٣) وقد ذكر الكراجكي في كنزه ص ١٠١ جميع شبههم ، وأجاب عنها بأحسن شرح وأجمل تبيان ؛ وينقل أبو طاهر البغدادي في فرقه عن النظام وأتباعه انهم كانوا يرون رأي البراهمة في المسألة . (٤) الروم : ٢١ . (٥) الاعراف : ١٥٦ . (٦) هود : ١٦ . (٧) يونس : ٣٩ .

وزعمت المجبرة القدرية : ان الله يريد الظلم والفساد ، ويحب الكفر والعدوان ، ويشاء أن يشرك به ولا يعبد ، ويرضى أن يجحد ويسب ويشتم [١] ، وقالت (العدلية) : بل الله لا يرضى إلا الصلاح ولا يريد إلا الاستقامة والسداد ، وكيف يريد الفساد وقد نهى عنه وتوعد ، وكيف لا يريد الصلاح وقد أمر به ودعا اليه ، ولو لم يفعل العباد إلا ما أراد الله تعالى لكان كلهم مطيعاً لله تعالى ، فان كان الكافر قد فعل ما أراد منه مولاه فليس بعاص ، وأطوع ما يكون العبد لمولاه اذا فعل ما يريده ، وأيضاً فليس بحكيم من أراد أن يشتم ، ولم يرد أن يعظم ، ورضى أن تجحد نعمه ، وأحب أن لا تشكر منه ، قال الله تعالى : ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ والله لا يحب الفساد ﴾[٤] وقال تعالى في تكذيب من زعم ان الكفار كفروا بمشيئة الله : ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك ـ الى قوله ـ الا يخرصون ﴾[٥] أي يكذبون .

فان قالوا : وقال الله : ﴿وما تشاؤن إلا أن يشاء الله ﴾[٦] فقل : هذه الآية وردت على الخير دون الشر ، وقال تعالى : ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن إلا أن

---

(١) وزعم جهم بن صفوان ان لا عمل لأحد غير الله ، ونسبة الأعمال الى العباد على وجه المجاز ، وأنكر الاستطاعات كلها ، ومن شاء المزيد من آرائهم فليرجع الى كتاب كنز الفوائد ، والسبب في تسميتهم (مجبرة) هو ذهابهم الى تأخير العمل عن الايمان ، والارجاء بمعنى التأخير ، وفي الحديث عن النبي « ص » : لعنت المرجئة على لسان سبعين نبياً ، قيل : من المرجئة يارسول الله ؟ قال : الذين يقولون : ان الايمان كلام بلا عمل . يعني الذين زعموا ان الايمان هو الاقرار وحده دون غيره « الفرق بين الفرق » . (٢) المؤمن : ٣٣ . (٣) الزمر : ٩ . (٤) البقرة : ٢٠١ . (٥) الانعام : ١٤٩ . (٦) الدهر : ٣٠ .

يشاء الله﴾[١] وقال تعالى في سورة اخرى : ﴿فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن إلا أن يشاء الله﴾[٢] .

فان قالوا : لو أراد من العبد شيئاً ولم يفعل لكان العبد قد غلبه ، فهذا ينقلب في الأمر لأنه قد خولف ولم يكن مغلوبا ، وكذلك الارادة ، ألا ترى الى من قال : وأراد من مملوك شيئاً ولم يفعله ، وأمر آخر بفعل فخالف لكان المخالف في الأمر أعظم في النفوس عصياناً ، كلا . . بل هو الغالب ، وإنما امهل العصاة حلماً ، ولم يجبرهم على الايمان ، لأن المكره لايستحق ثوابا ، بل أزاح علتهم ، وأقدرهم وأمكنهم ، فمن أحسن فالى ثوابه ، ومن أساء فالى عقابه ، ولو شاء لاكرههم على الايمان أجمعين كما قال تعالى : ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[٣] وكقوله تعالى : ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ـ الى قوله ـ أجمعين﴾[٤] وقال تعالى : ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾[٥] .

وزعمت (القدرية)[٦] : ان الله تعالى خالق الكفر وفاعله ، ومنشىء الزنا ومخترعه ومتولي القيادة وموجدها ، ومبتدع السرقة ومحدثها ، وكل قبائح العباد من صنعته ، وكل تفاوت فمن عنده ، وكل فساد فمن تقديره ، وكل خطأ فمن تدبيره .

فان قالوا على سبب التلبيس : ان العبد يكتسب ذلك ، فاذا طولبوا بمعنى الكسب لم يأتوا بشيء معقول ، وقالت (العدلية) : معاذ الله أن يكون فعله إلا حكمة وحقاً ، وصواباً وعدلا ، فالزنا فعل الزاني انفرد بفعله ، فكل قبيح منسوب الى المذموم به ، وإنما

---

(١) التكوير : ٢٨ ـ ٢٩ . (٢) الدهر : ٢٩ ـ ٣٠ . (٣) يونس : ٩٩ . (٤) السجدة : ١٣ . (٥) البقرة : ٢٥٧ . (٦) والقدرية عشرون فرقة تجمعها امور كنفي صفات الله الأزلية حيث يقولون : ان الله تعالى لم يكن له فى الأزل اسم ولا صفة ، الى آخر ماهالك من معتقداتهم الفاسدة ؛ وفي الفرق بين الفرق وكنز الفوائد تفصيل مايدعون والبرهان على رد مايزعمون وفساد مايعتقدون .

تولى المذمة العاصي ، إذ باع الآخرة بالدنيا ، ولم يعلم ان ماعند الله خير وأبقى ، ولو كان قد خلق أعمال العباد لما جاز أن يأمر بها وينهاهم عنها كما لم يجز أن يأمرهم بتطويل جوارحهم وتقصيرها ، إذ خلقها على ماخلقها ، ولو خلق الكفر لما جاز أن يعيب ماخلق ولو كان فاعل الكفر لما جاز أن يذم ويعيب ماخلق ويذم مافعل : ولو كان مخترع الفساد لما جاز أن يعاقب على مااخترع ، ولاتنفك القبائح من أن تكون من الله تعالى فلا حجة على العبد ، أو من الله ومن العبد فمن الظلم أن يفرده بعقاب ماشارك في فعله أو من العبد فهو يستحق العقاب ، وقال تعالى : ﴿ يلوون ألسنتهم بالكتاب ـ الى قوله ـ وهم يعلمون ﴾[١] فلو كان لوي ألسنتهم من خلق الله تعالى لما قال : ﴿ وما هو من عند الله ﴾[٢] .

وبعد : فالكفر قبيح ، وأفعال الله حسنة : فعلمنا ان الكفر ليس منها : وهكذا أخبر تعالى بقوله : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾[٣] وقوله تعالى : ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾[٤] .

فان سألوا عن قوله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾[٥] . فقل : هذه الآية لو تلوتم صدرها لعلمتم ان لاحجة لكم فيها ، لأنه تعالى أراد بالأعمال هاهنا الأصنام ، والاصنام أجساد ، وليس من مذهبنا انا خلقنا الاصنام ، بل الله خلقها ، ألا ترى انه قال تعالى : ﴿ أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون ﴾[٦] .

فان قالوا : ﴿ لايسئل عما يفعل وهم يسألون ﴾[٧] فقل : انه أدل على العدل ، لأن العباد يسألون عن أفعالهم لما كان فيها العبث والظلم والقبيح ، والله تعالى لما كانت أفعاله كلها حسنة لاقبيح فيها ، وعدلا لاظلم معها ، تنزه عن أن يسأل ، ولم يرد

---

(١) آل عمران : ٧٢ . (٢) آل عمران : ٧٢ . (٣) السجدة : ٦ . (٤) النمل ٩٠ . (٥) الصافات : ٩٤ . (٦) الصافات : ٩٣ ـ ٩٤ . (٧) الانبياء : ٢٣ .

بهذا ماتريده الفراعنة إذ قالت لرعيتها : وقد سألناكم فلا تسألونا لم أظلمكم وأفسقكم ، كلا ... فانه تعالى لم يدع للسؤال موضعاً باحسانه الشامل ، وعدله الفائض ، ولولا ذلك لم يقل : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾[1] فنحن نقول : ان أفعالنا الصالحة من الله ليس بمعنى انه فعلها ، وكيف يفعلها وفيها خضوع وطاعة ، والله تعالى لا يكون خاضعاً ولا مطيعاً ، بل نقول انها منه بمعنى انه مكن منها ، ودعا اليها ، وأمر بها وحرض عليها ، ونقول : ان القبائح ليست منه ، لأنه نهى عنها ، وزجر وتوعد عليها ، وخوف منها وأنذر ، ونقول : انها من الشيطان بمعنى انه دعا اليها وأغوى ، ومنّى في الغرور ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾[2] ﴿ إن الله يأمر بالعدل والاحسان ـ الى قوله ـ لعلكم تذكرون ﴾[3] وقال تعالى في صفة الشيطان : ﴿ يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ﴾[4] .

فان قالوا : فقد قال تعالى : ﴿ كل من عند الله ﴾[5] قلنا : معنى الآية غير ماقدرت ولو قدرناها كما تقدر لعلمت ان لاحجة فيها لك ، لأنه تعالى يقول : ﴿ وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ـ الى قوله ـ قل كل من عند الله ﴾[6] فانما هذا في الكفار حيث تطيروا بنبي الله عليه السلام : وكانوا اذا أتاهم الخصب يقولون هذا من عند الله واذا أتاهم الجدب يقولون : هذا من عندك ، كما قال تعالى ﴿ وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ـ الى قوله ـ مالا يعلمون ﴾[7] فبين الله تعالى ان ذلك كله يعني الخصب والجدب من عنده ، إلا انه لم يقل : وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندنا على ماتذكره (المجبرة) وقد دل الله على بطلان قولهم : ﴿ ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾[8] .

---

(١) النساء : ١٦٣ . (٢) فصلت : ٤٦ . (٣) النحل : ٩٢ . (٤) النساء : ١١٩ .
(٥) النساء : ٨٠ . (٦) النساء : ٨٠ . (٧) الاعراف : ١٢٨ . (٨) النساء : ٨١ .

وزعمت (المجبرة القدرية) ان الله خلق اكثر العباد للنار ، وخلقهم أشقياء بلا ذنب ولا جرم ، وغضب عليهم وهو حليم من غير أن يغضبوه ، وخذلهم من قبل أن يعصوه ، وأضلهم عن الطريق الواضح من غير ان خالفوه ، وقالت (العدلية) : خلق الله الخلق لطاعته ، ولم يخلقهم لمخالفته ، وأوضح الدلالة والرسل لصلاح الجماعة ، ولم يضل عن دينه وسبيله . وكذا اخبر بقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾[1] وكيف يمنع ابليس من السجدة ثم يقول : ﴿ مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾[2] .

فان سألوا عن قوله تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس ﴾[3] قيل : « لام العاقبة » معناها أن مصيرهم الى النار ، كما قال تعالى : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا ﴾[4] وان كانوا التقطوه ليكون لهم قرة عين ، وقد بين ذلك بقوله تعالى : ﴿ وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ـ الى آخره ـ ﴾[5] وكذلك الجواب بقوله تعالى : ﴿ إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ﴾[6] .

وزعمت (المجبرة القدرية) ان الله يضل اكثر عباده من دينه ، فانه ماهدى أحداً من العصاة الى ماأمرهم به ؛ وان الأنبياء عليهم السلام أراد الله ببعثهم الزيادة في عمى الكافرين وقالت (العدلية) : الله لا يضل عن دينه أحداً ؛ ولم يمنع أحداً الهدى الذي هو الدلالة وقد هدى من لم يهتد فبسوء اختياره غوى ، قال الله تعالى : ﴿ فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾[7] على أنا نقول ان الله يضل من يشاء ويهدي ، وانه يضل الظالمين عن ثوابه وجنانه ، وذلك جزاء على سيئاتهم ، وعقاب على جرمهم ، قال الله تعالى : ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ـ الى قوله ـ اولئك هم الخاسرون ﴾[8] فأما

(١) الذاريات : ٥٦ . (٢) ص : ٧٥ . (٣) الأعراف : ١٧٨ . (٤) القصص ٧
(٥) القصص : ٨ . (٦) آل عمران : ١٧٢ . (٧) فصلت : ١٦ . (٨) البقرة ٢٤ـ٢٥

الضلال عن الدين فهو فعل شياطين الجن والانس ، ألا ترى ان الله تعالى ذم عليهم فقال : ﴿ وأضلهم السامري ﴾[١] وقد حكى عن أهل النار انهم يقولون : ﴿ وما أضلنا إلا المجرمون ﴾[٢] وما يقولون : وما أضلنا إلا رب العالمين .

وقالت (المجبرة القدرية) : ان الله كلف العباد مالا يطيقون ، وذلك بادعائها ان الله خلق الكفر في الكفار ، ولا يقدرهم على الايمان ثم يأمرهم به ، فاذا لم يفعلوا الايمان الذي لم يقدره عليهم ، وفعلوا الكفر الذي خلقه فيهم ، وأراده منهم ، وقضاه عليهم عاقبهم عقابا دائماً ،

وقالت (العدلية) : معاذ الله ان الله لا يكلف العباد مالا يتسعون له « الوسع : دون الطاقة » إذ تكليف مالا يطاق ظلم وعبث ، وانه لا يظلم ولا يعبث ولو جاز أن يكلف من لا يقدره على الايمان لجاز أن يكلف من لا مال له باخراج الزكاة ، وان يكلف المقعد بالمشي والعدو ، وقال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾[٣] فهو لا يكلف من لا يستطيع قبل الفعل أن يفعل ، قال تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ـ الى آخره ﴾[٤] فهو يأمر بالحج قبل الحج فكذلك استطاعته قبل أن يحج ، ولو لم يستطيعوا الايمان لم يقل لهم : ﴿ فأين تذهبون ﴾[٥] ولو نصرهم على الافك لم يقل : ﴿ فأنى يؤفكون ﴾[٦] .

وادعت (المجبرة) ان الأقدار المذمومة حتم من الله ، ونفيناها عنه سبحانه ، لأن تقديره لا يكون باطلا ولا متناقضاً ، فلما وجدنا الأشياء المتناقضة الباطلة علمنا انه لا يقدرها وكفى (القدرية) اذا أثبتوا ماتنازعنا فيه ونفيناه ، ولو جاز لجاز أن يكون من ينفي التنصر نصرانياً ومن ينفي التهود يهودياً .

فان قالوا : انكم أثبتم ذلك لأنفسكم ، ومثبت الشيء لنفسه أولى ممن ينسبه اليه ،

---

(١) طه : ٨٧ . (٢) الشعراء : ٩٩ . (٣) البقرة : ٢٨٦ . (٤) آل عمران ٩١ (٥) التكوير : ٢٦ . (٦) العنكبوت : ٦١ .

فالجواب : ان التنازع بيننا لم يقع في كوننا قادرين ، فانما تنازعنا في ان الأقدار المذمومة تثبت لله سبحانه وتعالى أو ينزه عنها ، فأثبتوها ان كنتم قدرية .

وبعد : فلو كان من أثبتها لنفسه قدريا لكان على زعمكم قد أثبته الله لنفسه فهو قدري وبعد هذا القول ، فلو كان هذا اسم ذم فهو لكم اليق ، لأنكم فعلتم القبائح وأضفتموها الى الله تعالى البريء منها ، وقد قال عز من قائل : ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً ـ الى آخرها ـ ﴾[١] .

وادعت (المرجئة) ان قاتل النفس بغير الحق ، وسارق المال ، ومخيف السبل ، ومرتكب الزنا ، وشارب الخمر ، لا يقطع انهم من أهل النار وان ماتوا مصرين ، وقالت (العدلية) : بل هم من أهل النار مخلدون ، ولا يجدون عنها حولا ، ان الله تعالى اخبر بـ ﴿ ان الفجار لفي جحيم ﴾[٢] ولم يخص فاجراً عن فاجر فقال عز وجل : ﴿ ان الأبرار لفي نعيم ـ الى قوله ـ يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين ﴾[٣] وقال تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً ـ الى قوله ـ عذابا عظيما ﴾[٤] .

فان قالوا : فقد قال الله تعالى : ﴿ ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾[٥] فالجواب : انه تعالى قال في هذه الآية : ﴿ لمن يشاء ﴾ والمشيئة مغيبة عنا الى أن نعرفها بالأدلة ، وقد بيّن ﴿ من يشاء ﴾ بقوله تعالى : ﴿ ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم ﴾[٦] فهو يكفر الصغائر بتجنب الكبائر ، والكبائر بالتوبة ، وكذلك قال تعالى : ﴿ وانيبوا الى ربكم ـ الى قوله ـ ثم لا تنصرون ﴾[٧] .

فان قال قائل : أفلا تقولون بشفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قلنا : نقول بها

---

(١) النساء : ١١٢ . (٢) الانفطار : ١٦ . (٣) الانفطار : ١٦ . (٤) النساء : ٩٥ . (٥) النساء : ٥١ . (٦) النساء : ٣٥ . (٧) الزمر : ٥٥ .

ونرغب الى الله فيها ، إلا انها للمرتضين كما قال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾[1] ولا نقول انها للظالمين لقوله تعالى : ﴿ وما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾[2] .

فان قال : فكيف تكون الشفاعة والرحمة والغفران للمحسنين والتابعين ، قلنا : لم يزل الناس يستشفعون الى الملوك في الاحسان اليهم وان كانوا غير مذنبين كما قال تعالى في الأخبار عن شفاعة الملائكة : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله ـ الى قوله ـ وقهم عذاب الجحيم ﴾[3] .

وزعمت (المرجئة) ان مرتكب الكبائر مع فسقه مؤمن كايمان جبرئيل وميكائيل وقالت (الخوارج) : هو كافر مع فسقه [4] ، وقالت (العدلية) : انه فاسق ، وقولها اجماع من الكل ، وهو المنزلة بين المنزلتين ، واستدلت على انه ليس بمؤمن بأن الله أمر باكرام المؤمنين ومدحهم ، وذم الفاسقين وأهانهم ، والمهان لا يكون مكرماً ، والممدوح لايكون مذموماً في حالة واحدة ، واستدلت على انه ليس بكافر بأن الكافر يلزم الجزية ، ويحارب اذا لم يقبل الجزية ، وفساق أهل القبلة أحكامهم أحكام أهل الملة ، وقد أخبر الله عنهم بالفسق فقال تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ـ الى قوله ـ هم الفاسقون ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ـ الى قوله ـ هم الظالمون ﴾[6]

ودفع طائفة من (الحشوية) وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقالت (العدلية) : هما واجبان على قدر الامكان . فان امكن إزالة المنكر بالراح وإلا جاز بلوغ السيف والرماح ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ـ الى

---

(١) الأنبياء : ٢٨ ـ ٢٩ . (٢) المؤمن : ١٩ . (٣) المؤمن : ٧ . (٤) كان هذا قول الأزارقة من الخوارج أتباع نافع بن الأزرق الحنفي المكنى بأبي راشد ، وتجد أخبارهم في (الفرق بين الفرق) و (الاخبار الطوال) للدينوري . (٥) النور ٤ (٦) الحجرات : ١١ .

آخر الآية)[1] وقال تعالى في ذم الفرقة وما ذهبت اليه : ﴿ كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ـ الآية)[2] .

وزعمت (العثمانية) وطوائف (الناصبية) ان أمير المؤمنين عليه السلام مفضول في أصحاب رسول الله « ص » غير فاضل ، واستدلت بأن أبا بكر وعمر وليا عليه ، وقالت (الشيعة العدليه) : فقد ولى النبي «ص» عليهما عمرو بن العاص في غزوة (ذات السلاسل) فليقولوا انه خير منهما . وقالت (الشيعة) : علي عليه السلام أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلذلك آخى بينه وبينه ، حين آخى بين أبي بكر وعمر ، فلم يكن ليختار الأفضل لمن آخاه عمر ، ومن دونه لمن آخاه نفسه ، وقد ذكر ذلك بقوله «ص» : (أنت مني بمنزلة هرون من موسى)[3] ثم انه «ص» لم يستثن إلا النبوة .

وفيه قال صلى الله عليه وآله وسلم : (اللهم آتني بأحب خلقك اليك يأكل معى هذا الطير)[4] وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ـ الى آخر الدعاء)[5] .

---

(١) آل عمران : ١٠٠ . (٢) المائدة : ٨٢ .

(٣) والحديث صحيح متواتر وقد صرح بصحته الذهبي في تلخيص المستدرك وابن حجر في صواعقه والحاكم في المستدرك وخرجه صاحب الجمع بين الصحاح الستة وصاحب الجمع بين الصحيحين والبخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه والأمام أحمد بن حنبل في مسنده والترمذي في صحيحه وكثيرون من أمثالهم في كتبهم راجع ص ١٤٤ ومابعدها من المراجعات لسيدنا آية الله شرف الدين دام ظله .

(٤) اخرجه الترمذي في سننه والبغوي في مصابيحه والطبري في الرياض النضره والكنجي في مناقبه والحاكم في المستدرك .

(٥) اخرجه الطبراني وأبن حجر وأبن جرير والترمذي والحاكم والامام أحمد والنسائي ومسلم .

وبعد : فالفضيلة تستحق بالمسابقة ، وهو أسبقهم إسلاما ؛ وقـــد قال تعالى : ﴿ والسابقون السابقون اولئك المقربون ﴾[1] .

وبالجهاد ، وهو لم يغمد حساماً ، ولم يقصر اقداماً ، كشاف الكروب ، وفراج الخطوب ، ومسعر الحروب ، قاتل مرحب ، وقالع باب خيبر ؛ وصارع عمرو بن عبدود ومن قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار)[2] وقد قال الله تعالى : ﴿ فضل الله المجاهدين

(١) سورة الواقعة ـ ١٠ ـ ١١ ـ وقد اخرج الديلمي ـ كما في الحديث ٢٩ من الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق المحرقة لابن حجر ـ عن عائشه والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس ان النبي قال : السبق ثلاثة فالسابق الى موسى يوشع بن نون والسابق الى عيسى صاحب ياسين ؛ والسابق الى محمد علي بن ابي طالب اهـ ـ واخرجه الموفق بن أحمد ؛ والفقيه ابن المغازلي بالأسناد الى ابن عباس ، وقد ذهب كثير من اعلام السنة وعلمائهم الى ان اول القوم إسلاماً علي بن ابي طالب بل ربما تجد ذلك متواترا في كتبهم ولايسع المجال سرد الاقوال وشرحها فعليك بالكتب نفسها .

(٢) تجد هذا الحديث ـ بلفظه او بما يشابهه ـ في كل من مسند أحمد وخصائص النسائي ومستدرك الحاكم وتلخيص الذهبي وكثير من كتب امثالها ورحم الله العلامة الكاظم الازري إذ يقول .

وله يوم خيبر فتكات ... كبرت منظراً على من رآها
يوم قال النبي اني لأعطي ... رايتي ليثها وحامي حماهـا
فاستطالت أعناق كل فريق ... ليروا أي ماجـــد يؤتاها
فدعا أين وارث العلم والحلم ... مجير الأيام من بأساها
أين ذو النجدة الذي لو دعته ... في الثريا سروعـــة لباها
فأتاه الوصي أرمـــد عين ... فسقاها من ريقـه فشفاها
ومضي يطلب الصفوف فولت ... عنه علمـــاً بأنه أمضاها —

على القاعدين أجراً عظيما ﴾[١] .

وبالعلم ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (أنا مدينة العلم وعلي بابها)[٢] وأثر ذلك بيّن ، لأنه عليه السلام لم يسأل من الصحابة أحداً وقد سألوه ، ولم يستفتهم وقد استفتوه حتى ان عمر يقول : لولا علي لهلك عمر[٣] ويقول لاأعاشني الله لمشكلة ليس لها أبوالحسن[٤] وقد قال الله تعالى: ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون ﴾[٥].

وبالزهد والتقى والبر والحسنى ، فاذا كان أعلمهم فهو أتقاهم ، وقال الله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[٦] .

وبعد : فهو الذي آثر المسكين واليتيم والأسير على نفسه مخرجا قوته كل ليلة اليهم

— ويرى مرحباً بكف اقتدار أقوياء الأقدار من ضعفاها
ودحى بابها بقـــوة بأس لو حمتها الافلاك منه دحاها

والى هذه الراية يشير الخليفة عمر بقوله : لقد اوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم ، زوجه رسول الله (ص) ابنته وولدت له ، وسد الابواب إلا بابه في المسجد ، وأعطاه الراية يوم (حنين . كذا) اه ومعلوم ان تسمية ذلك اليوم بحنين خطأ محض حيث ان اعطاء الراية كان في يوم خيبر كما عليه اجماع المؤرخين .

(١) النساء : ٩٧ . (٢) اخرجه صاحب منتخب كنز العمال ونقله ابن حجر في الصواعق والحاكم في المستدرك والذهبي في التذكرة وجمع من اصحاب الحديث والحفاظ ومن شاء الاطلاع عليها تفصيلا فليراجع كتاب ﴿ الغدير ﴾ للحجة الأميني فقد جمع فأوعى وذكر (١٤١) مصدراً يذكر هذا الحديث وبرويه . (٣) راجع في هذا الحديث السنن الكبرى وذخاير العقبى وتفسير الرازي ومناقب الخوارزمي وتذكرة السبط وكفاية الكنجي . (٤) روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة ومعنى واحد وقد اخرجها جمع كبير من حفاظ السنة وتجد تفصيل هذه الروايات في الجزء السادس من الغدير للحجة الأميني . (٥) الزمر : ١٢ . (٦) الفاطر : ٢٥ .

عند فطره حتى أنزل الله تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا ﴾[1] فأخبر نبيه « ص » وعده عليه الجنة ، والحديث طويل وفضله كثير ، وهو الذي تصدق بخاتمه في ركوعه حتى أنزل الله تعالى فيه : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله ـ الخ ﴾[2] .

وزعمت طائفة من الشيعة ذاهلة عن تحقيق الاستدلال ان علياً عليه السلام كان في تقية ، فلذلك ترك الدعوة لنفسه ، وزعمت ان عليه نصاً جلياً لايحتمل التأويل ، وقالت (العدلية) : هذا فاسد ، كيف تكون عليه التقية في إقامة الحق وهو سيد بني هاشم ، وهذا سعد بن عبادة نابذ للمهاجرين وفارق الأنصار ، لم يخش مانعاً ودافعاً ، وخرج الى حوران ولم يبايع ، ولو جاز خفاء النص الجلي عن الامة في مثل الامامة لجاز أن ينكتم صلاة سادسة وشهر يصام فيه غير شهر رمضان فرضا ، وكلما أجمع عليه الامة من أمر الأئمة الذين قاموا بالحق وحكموا بالعدل صواب .

وامامن نابذ عليا عليه السلام وحاربه ، وشهر سيفه في وجهه ، فخارج من ولاية الله إلا من تاب بعد ذلك وأصلح ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين .

---

(١) سورة الدهر : ٨ . وقد روى ابن عباس نزول هذه السورة في علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) وأخرج ذلك عنه الامام الواحدي في كتابه (البسيط) وأبو اسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير وأبو المؤيد في كتاب الفضائل والزمخشري في الكشاف واسبب نزول السورة قصة مطولة لايسعها هذا المختصر فمن شاء فليرجع فيها الى الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء لسيدنا الامام المجاهد شرف الدين دام ظله فقد أشار الى أسرار البلاغة التي تضمنتها آيات هذه السورة والى أسانيد الحديث التي روت اسباب النزول . (٢) المائدة : ٦٠ وقد روى نزولها في علي (ع) إذ تصدق بخاتمه وهو راكع في الصلاة في صحيح النسائي وفي كتاب الجمع بين الصحاح الستة وأسباب النزول للواحدي وكنز العمال ومنتخبه وقد نقل إجماع المفسرين على نزولها في علي غير واحد من اعلام السنه كالأمام القوشجي في مبحث الأمامه من شرح التجريد .